

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / قسم أصول الفقه

مقياس دراسات بيانية في السنة النبوية

الدكتورة : سعاد بولشفار (تخصص لغة عربية)

المستوى: السنة أولى ماستر تخصص أصول الفقه

تمهيد

أعزائي الطلبة : السلام عليكم و رحمته تعالى و بركاته ، أرجو من المولى عزوجل أن تكونوا بخير . أما بعد :

تضم هذه المحاضرات جملة من الجوانب البلاغية في السنة النبوية و هي متنوعة و مختصرة تماشيا مع مقتضى الحال من جهة و من جهة أخرى لعدم تيسر الإنترنت على اعتبارها مصدرا للمعلومات و الأبحاث ، و على اعتبار ثالث تدريس المقياس لأول مرة . و بالرغم من هذه الأسباب فقد اعتمدت بعضا من الكتب المساعدة على المعالجة منها كتاب " جواهر البخاري " و كتاب " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية "

المحاضرة الأولى

و قفت فيها على جملة من الجوانب البلاغية منها :

1- مطابقة الكلام لمقتضى الحال (و هو من بين تعاريف البلاغة)

2- بلاغة التقديم و التأخير (من دروس علم المعاني)

3- التأكيد اللفظي بالأداة (من دروس علم المعاني)

مطابقة الكلام لمقتضى الحال

باب بدء الوحي (من كتاب جواهر البخاري) و وقوفا عند :

قول خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه و سلم – من بعد ما جاءه جبريل عليه السلام و أخبره بأنه رسول رب العالمين - : >> و الله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، و تحمل الكَلِّ، و تكسب المعدوم و تقري الضيف و تعين على نوائب الحق << . هذه جملة حق صدرت من زوجة كريمة ذات سيادة و احترام ، خالية من التنميق اللفظي و التتبع و التشدد اللذين نهى النبي صلى الله عليه و سلم عنهما ، تصف بها نبي الرحمة صلى الله عليه و سلم

بصناعة أدبية و بلاغة مرموقة كقائلتها في زمن حيرة أملت بزوجها صلى الله عليه و سلم و هذا من باب " التصرف البديع و حسن السياسة و الكياسة " ص 8 و هذا جزء هام من البلاغة المرتبطة بالحكمة و التي عبر عنها بجملة من القول .

جاء في كتاب " جواهر البخاري و شرح القسطلاني 700 حديث مشروحة عن خديجة رضي الله عنها أنها " طمأنت ... روعه و أزالته بأسه و خفت من فزعه و أذهبت رعبه شأن الزوجة العاقلة المهذبة المتربية تسري عن زوجها همومه و تجلب له الأنا و السرور . لماذا ؟ لأنها استنتجت من خلاله الحميدة و صفاته السامية و آدابه العالية حسن العاقبة كما قال تعالى : { و العاقبة للنفوس } " و جملة " كلا و الله ما يخزيك الله أبدا " كلاً قال الكرمانى : معناه الردع و النهي عن ذلك الكلام و المراد هنا التنزيه " . ص 6

و من خلال بلاغة المقال المطابق للمقام النبوي في زمن البعثة المحمدية " عدت رضي الله عنها خمس خصال بها يستقيم الملك و يعم بها العدل و تنتشر راية السعادة و يخفق لواء المحبة] ألا و هي :

- 1- الإحسان إلى الأقارب بالمال أو بالخدمة أو بالزيارة أو بالسلام .
- 2- إعانة الضعيف ومساعدة العاجز والكُل و هو من لا يستقل بأمره . ص 6
- 3- إكساب المعدوم المال
- 4- إكرام الضيف .
- 5- نصره الحق و أهله و المساهمة في ردّ المظالم ... و دفع المصائب . (بتصرف ص 7)

قال الكرمانى: و قد جمعت رضي الله عنها جميع أنواع أصول المكارم و أمهاتها فيه صلى الله عليه و سلم لأن الإحسان إما إلى الأقارب و إما إلى الأجنب و إما بالمال و إما بالبدن و إما على من يستقل بأمره و إما على غيره " (ص 7) . و ما قول خديجة رضي الله عنها إلا تعبير صادق على صدق " فراستها في زوجها صلى الله عليه و سلم بما رأته من صدقه و أمانته و حسن

معاملته و جميل رأيه و بديع خلاله و حلمه و صبره " و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على البلاغة النبوية قولاً و معاملة قبل البعثة و من بعدها .

بلاغة التقديم و التأخير في الحديث النبوي

باب المسلم الكامل و الحب و البغض في الله من الإيمان (ص 16)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : **المُسلم من سلم الناس من لسانه و يده "**

من خصائص بلاغة النبي صلى الله عليه و سلم الاقتصاد في تأليف الكلام مع قوة التأثير و وقوع الحجة و بساطة تميز بها بعيداً عن الصناعة اللفظية التي تضر بالمعنى الثابت فالمسلم في الإسلام هو من سلم الناس من لسانه و يده دون إطالة . و قد " قدم اللسان على اليد لأن إيذائه أكثر وقوعاً و أشد نكايه و لله در القائل :

جراحات السنان لها التئام و لا يلتام ما جرح اللسان

و خص اليد لأن سلطنة الأفعال تظهر بها ، إذ بها البطش و القطع و الوصل و الأخذ و المنع .

معنى الحديث

جاء في الكتاب نفسه " يريد النبي صلى الله عليه و سلم أن يسن دستوراً لمن يتجلى في أعماله الانقياد الظاهري إلى الله تعالى و يتصف بأداب الدين المحمدي ذلك الذي سطع نور الإيمان بقلبه فهده إلى حفظ لسانه من الغيبة و النميمة و الوشاية و الدس و الكيد و إيقاد نار العداوة و أبعد يده عن السرقة و عن الأذى و عن الظلم و عن التعدي و عن كتابة الزور و الربا و هكذا من ضروب الفساد و الاستيلاء على حق الغير بغير حق." ص 17

بلاغة التقديم و التأخير

قال الزمخشري : " لما كانت أكثر الأعمال تباشر باليد غلبت فقليل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم .

و قال الكرمانى : هذا وارد على سبيل المبالغة تعظيماً لترك الإيذاء هو نفس الإسلام الكامل و هو محصور فيه على سبيل الادّعاء. و قال الخطابى : يريد المسلم الممدوح من كان هذا صفته. (ص17) و من خلال هذا التبيان " فأنت تجد الحكمة و السعادة ترفرفان على المؤدب الكامل الذي يبتعد عن فحش القول و إثمه و ينأى عن الدنيا و يترك المحارم و يهجر صحبة الأشرار و يترفع عن مجالسة الفساق و يتزود بالتقوى و يستكثر من صحبة الأخيارو يحضر مجالس الأبرار " (ص 17- 18)

التأكيد اللفظى بالأداة

جاء في كتاب " الحديث النبوي من الوجة البلاغية " >> في اللغة العربية أدوات وضعت لإفادة معنى التأكيد لمضمون ما تدخل عليه من الجمل ، يختلف التعبير بوضعها وجودا و عدما << ص 98 مثال ذلك :

ان مفتوحة الهمزة و مكسورتها

إن مكسورة الهمزة تأتي على و جهين : أولهما أن تكون حرف توكيد و ثانيهما أن تكون حرف بمعنى نعم . و أن مفتوحة الهمزة تكون حرف توكيد . قالوا و الأصح أن تكون فرعا من مكسورة الهمزة . (ص 99)

ورودها في الحديث

عن علي بن الحسين قال : قالت صفيّة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم معتكفا ، فأتيته أزوره ليلا فحدثته ، ثم قمت لأنقلب فقام معي حتى إذا بلغ باب المسجد مر رجلا من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه و سلم أسرع ، فقال : على رسلكما ، إنها صفيّة بنت حيّ فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، فقال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، و إنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا أو قال : شيئا. (ص 99- 100)

ما يستنبط من الحديث (ص 100)

1- إسراع الرجلين في هذا المقام مشعر بالتحرج من رؤية الرسول صلى الله عليه و سلم في هذه الحال ، و عدم تحديدهما الموقف بمعرفة المرأة مجال للظن (و إن بُعد اعتقادهما كل البعد أن يلم نبيهما بما يريب) فإتيان (إن) في الجملة الأولى لتأكيد المعرفة بالمرأة ... و لم يشفع بمؤكد آخر، لأنهما – و حاشاهما- لم ينكرا على رسولهما شيئا ، و قد راعهما أن يجعل هو إسراعهما على شيء من الاتهام ، فيطلب منهما الأناة في السير ، و يعلن لهما بالجملة المؤكدة بالأداة تبرئنا لساحته الشريفة فعجبا و تعجبا ، إظهارا لطهارتهما من ظن السوء .

2- و قد جاء رده عليه السلام مُصدرا مرة أخرى (بأن) تنبيها لما ينبغي أن يُعلم على وجه من التأكيد ، و هو شدة ملابسة الشيطان لقلب الإنسان ، و الفعل المضارع المخبر به يفيد تجدد و ثبات الشيطان ، و التعبير بمجرى الدم كناية عن القلب لأنه أخص أجهزة الجسم بتصريف دمه ، فإذا انبتق الدم مشفوعا بنفته إلى باقي الأعضاء أصاب كل قاصية عن القلب .

3- ثم لما تعجبا بقولهما : سبحان الله ، كان تعجبهما كاستبراء النفس من تهمة أَلّمت ، فكان جوابه عليه السلام مؤكدا لحرصه الشديد عليهما ، و خشية أن يقدر الشيطان على النفاذ إليهما بقذفه الشر في قلوبهما . فحسّن ذلك إدخال (إن) على جملة الخشية . (ص 100) .